مجلة منتدى الأستاذ
المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 462- 475

المثقب العبدي ولعبة التخفي الدلالي في قصيدة "أفاطمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتّعِيني"

بحث في الأنساق الثقافية ومضمرات النص

Al-Muthaqab Al-Abdi and the Semantic Concealment Game in the Poem "A-Faatim Qabla Baynki Mattiaini" A Study in Cultural patterns and textual Interpretations

خميسة مزيتي[1]،*

[1] جامعة عباس لغرور/ خنشلة (الجزائر)، *mezite.khemissa@univ-khenchela.dz*

تاريخ الإرسال: 2025/08/09 تاريخ القبول: 2025/09/18

الكلمات المفتاحية:
المثقب العبدي؛
التخفي الدلالي؛
الأنساق الثقافية؛
مضمرات النص؛
النسق؛

الملخص:

يهدف البحث إلى استجلاء الأنساق الثقافية المضمرة في قصيدة "أفاطم قبل بينك متعيني" للمثقب العبدي، واستخراج مضمراتها الدلالية.
ويتّكئ على منهج النقد الثقافي، الّذي يرصد الأنساق (الأنا المتعالية، الرحالة الخبير، البلاغي) في نسقي الشاعر/ السلطة والشاعر/ الرحالة؛ حيث وتتركز الإشكاليات في كيفية لعب الأنساق دور التخفي الدلالي، وتكثيف المعاني عبر التلميح لا التصريح.
كما يفكك التحدي، الطمع، الخبرة الجغرافية، والحيوانية/ النباتية كمكبوتات لا شعورية.

Keywords:
Al-Muthaqab Al-Abdi,
semantic camouflage ,
Cultural patterns,
, text interpretations
Theme

ABSTRACT:

The study aims to elucidate the concealed cultural patterns in al-Muthaqab al-Abdi's poem "A-Faatim Qabla Baynki Matti'ini," extracting its semantic components.
It adopts cultural criticism methodology, identifying patterns (transcendent ego, expert traveler, rhetorical) within poet/power and poet/traveler dynamics.
Core issues focus on how patterns enable semantic concealment, intensifying meanings through allusion rather than declaration.
It deconstructs challenge, greed, geographic expertise, and faunal/floral knowledge as unconscious repressions.

* خميسة مزيتي.

مقدمة:

خرجت الساحة الأدبية والنقدية في الآونة الأخيرة إلى مجالات جديدة في قراءة النصوص الأدبية ومقاربتها، وتخلصت من ارتباطاتها السياقية والنسقية لتبني لنفسها توجهات أخرى أفرزتها العولمة والساحة الثقافية التي أرادت التخلص من كل القيود الجمالية السابقة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية. وظهر ما يصطلح عليه بالنقد الثقافي الذي شغل مؤخرا حيزا كبيرا من اهتمامات الدارسين والباحثين الذين اختلفت آراؤهم حوله، فمنهم من يجعله مكملا للنقد مرتبطا به، ومنهم من يعتبره بديلا عنه، وكان ميلاده إعلانا واضحا لتجاوز النقد الأدبي ونهايته.

وكانت الأنساق الثقافية من الموضوعات التي أفرزها النقد الثقافي وألح على وجودها، فراح الدارسون يتتبعونها في مختلف المدونات والنصوص الأدبية، ويبحثون من خلالها على مضمرات النص كما يشير إلى ذلك **عبد الله الغذامي**.

ولأن القصيدة الجاهلية كانت ولا تزال معينا لا ينضب من الفكر والثقافة والعادات والتقاليد ويكفيها كونها ديوان العرب وحافظ أفكارهم ومآثرهم ومعارفهم، ولأن الشاعر الجاهلي في كثير من إبداعاته كان يخفي أكثر ما يظهر ويضمر أكثر ما يبدي، فقد حملت قصائدهم الكثير من الأنساق الثقافية التي عبّرت عنها لغتهم عبر نظمهم، ومن الشعراء الذين تلونت قصائدهم بتعدد الأنساق واختلافها نذكر الشاعر **المثقب العبدي**. وإذا كانت قصائده التي وصلتنا احتفظت في مجملها بعمود الشعر شكلا ومضمونا، بناء وموضوعا. فماهي المضمرات الدلالية التي يمكن أن نستشفها من خلال شعره؟ وكيف لعبت الأنساق الثقافية في تكثيف دلالات انفلتت من وعي الشاعر لتظهر للمتلقي تلميحا لا تصريحا وإضمارا لا بيانا؟

وكان الهدف من الدراسة هو تتبع الأنساق الثقافية في نصوص **المثقب العبدي** ومحاولة معرفة المضمرات التي تحملها نصوصه على اعتبار أن الشاعر الجاهلي كان في الكثير من شعره يخفي أكثر مما يبدي خاصة في الشعر السياسي من خلال مدحه، وحتى في شعره المخصص للغزل والوصف... وننوه إلى أن الدراسة مقاربة في النقد الثقافي باعتمادها على آلية الأنساق الثقافية في قراءة النص مدونة البحث. لذا بسطنا مادة البحث في عنوانين أساسيين خصصنا الأول منها للبحث في مفهوم النقد الثقافي وكذا الأنساق الثقافية وكيف نشأ كل منهما وتطورا وموضوعات البحث فيهما. وخصصنا الجزء الثاني لتتبع الأنساق الثقافية المضمرة في قصيدة المثقب "أفاطم قبل بينك متّعيني" حيث ركزنا على ثلاثة أنساق رئيسة تفرعت منها أنساق ثانوية؛ أما النسق الأول فهو نسق الشاعر/ الأنا المتعالية وانسلّ منه نسق التحدي والكبر، ونسق الطمع وحب الذات. أما النسق الثاني فهو نسق الشاعر/ الرّحالة الخبير، وقد مثّله بامتياز كل من نسق الجغرافيا ونسق عالم الحيوان ونسق عالم النبات.

أما النسق الثالث الذي غطّى القصيدة ككل هو النسق البلاغي الذي امتطى اللغة ليعطيها حقّها من التصوير والجمالية والتأثير والإقناع، وليبرر به الشاعر تواجده النافذ ويبين به حذقه الفني وفحولته الشعرية.

وقبل الولوج إلى فحوى الدراسة وبسطها حري بنا أولا أن نتطرق إلى مفهوم النقد الثقافي وكيف عالج الأنساق الثقافية رغبة منا في منح مساحة نظرية تمهيدية للقارئ تيسّر عليه الإحاطة بالمفاهيم الأساسية لموضوع الدراسة. فماذا نعني بالنقد الثقافي؟ وكيف نشأ وتأسس؟ وما المقصود النسق الثقافي وعلاقته بالأدب عامة والشعر خاصة؟

أولا ـ النقد الثقافي: المفهوم والنشأة ومصطلح الأنساق الثقافية:

تعود نشأة النقد الثقافي كنقد له هويته ومصطلحاته وجانبه النظري وتقنياته الإجرائية المختلفة إلى نهايات القرن الماضي، إذ تأسس كرد فعل عن النقد الحداثي وما بعد الحداثي اللذين أخذا حيزا طويلا وعريضا في مقاربات النصوص سياقيا ونسقيا، وفي هذا الصدد يقول **عبد الله الغذامي** متحدثا عن نشأة النقد الثقافي: «كانت الدفعة القوية إلى مرحلة (الما بعد) النقدية، حيث (التاريخانية الجديدة) و(النقد الثقافي) متأسسة على نقد ما بعد البنيوية، وما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية، حيث تأتي مشروعات نقدية متنوعة تستخدم أدوات النقد في مجالات أعمق وأعرض من مجرد الأدبية، مجال ما وراء الأدبية» (الغذامي، 2005، صفحة 14)، فأغلب المناهج النقدية الحداثية وما بعدها كانت تبحث في مقارباتها عن مكمن الجمالية والفنية أو ما يسمى بالشعرية أو الأدبية منطلقة من النص وعائدة إليه، فجاء النقد الثقافي للبحث عن ما وراء الأدبية أو الجمالية منطلقا منها ليؤسس وجوده إذ "تتحدد غاية الناقد الثقافي في تحرير الخطاب من مبدأ الخضوع لنقد ثقافة المركز، ومواجهة هيمنة النسق" (طالب، 2018، صفحة 342)، التي اعتبرت النص الأدبي معطى مقدّسا لا تتأتى من خطاباته المتعددة إلا القيم الجمالية على اختلافها، في حين يرى الناقد الثقافي أن هناك قيّما غير جمالية تحمل الأهمية نفسها وتكمن خلف القيم الجمالية المسكونة بها النصوص الأدبية.

ويرى حفناوي بعلي أن "البدايات الجادة للنقد الثقافي، فترجع إلى بداية السبعينات من القرن العشرين، عندما شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنغهام في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية، تناولت وسائل الإعلام، والثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا، والمسائل الإيديولوجية، والأدب وعلم العلامات، والمسائل المرتبطة بالجنوسة والحركات الاجتماعية والحياة اليومية، وموضوعات أخرى متنوعة..." (بعلي، صفحة 24)، وقد كان لهذه الصحيفة الدور الفعال والأساسي في بداية انتشار الدراسات الثقافية التي لم تعد تهتم بالنص من ناحيته الجمالية وإنما تبحث من خلال النص فيما يمكن أن يكوّنه من عوالم مختلفة تتظافر لتنتجه.

والنقد الثقافي في حد ذاته مصطلح تطرق إليه العديد من النقاد محاولين ضبط مفهومه وإطاره الذي لطالما شكّل عندهم مادة زئبقية لم تُمكّن نفسها للباحثين عنها، فلم يستطع الدارسون الوصول إلى مفهوم موحد وشامل وتام، وهذا حال النقد وسائر العلوم الإنسانية. إذ «يطرح **فنسنت ليتش** مصطلح (النقد الثقافي) مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما إنه خطاب، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي» (الغذامي، 2005، الصفحات 31-32)، فالنقد الثقافي الذي أدّت إليه وأفرزته ما بعد الحداثة هو

مشروع نقدي متكامل يعنى بدراسة النصوص الأدبية وغير الأدبية كالفنون على اختلافها دراسة لا تعتمد على النص وجماليته، وإنما تمزج دراستها بكل ما هو متاح لقول ما يمكن للنص أن يقوله معتمدا في ذلك على الأدب ومحتوياته والنقد ومناهجه والجمالية ونظرياتها والمتلقي بقراءاته وتفسيراته وتأويلاته، وكذا على علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد.... وكل ماله علاقة ظاهرة أو خفية، مباشرة أو غير مباشرة، واضحة أو غامضة بالخطاب الأدبي بصفته نتاج إنساني لا يحمل بصمة وجينات الذات المبدعة ولا يعبّر عن دواخلها وخوارجها فحسب، وإنما الذات الإنسانية ككل في تواجدها وتجدّدها.

ونشير أيضا إلى النقد الثقافي يقوم على خصائص وسمات تميزه عن النقد الأدبي، ونجد العديد ممن تناولوه بالبحث والدراسة قد أوردوا له العديد من السمات والمميزات، وسنحاول حصرا ذكر خصائصه عند **فنسنت ليتش** وهي ثلاث خصائص:

- «لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، سواء أكان خطابا أو ظاهرة.
- من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.
- إن الذي يميز النقد الثقافي المابعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي عند **بارت ودريدا وفوكو**، خاصة في مقولة **دريدا** أن لا شيء خارج النص، وهي مقولة يصفها **ليتش** بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي المابعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشريع النصوصي كما عند **بارت**، وحفريات **فوكو**» (الغذامي، 2005، صفحة 32):

فالنسق الثقافي هو مجموع المضمرات التي تختفي خلف النصوص وجماليتها، وتمر بطريقة أو بأخرى إلى المتلقي. فيتمكن من قراءتها وإبرازها. وهذه الأنساق المضمرة حسب أصحاب النقد الثقافي قد يعي الأديب وجودها فيدركها. لكنها مكتنزة في اللغة سواء أكانت مكتوبة أو غير مكتوبة (الرسم، التمثيل...) وقد تغيب عنه وتكمن في لا شعوره فلا يدركها ولا يعيها. فيدركها غيره من خلال الأنساق الثقافية الكامنة في اللغة الجمالية أو المحيطة والمتعلقة بالأديب.

وسنحاول في هذه الدراسة استقراء واستنطاق قصيدة "أفاطم قبل بينك متّعيني" ولوجا إلى الأنساق الثقافية التي حاولت اللغة الجمالية تمريرها إلى القارئ.

ثانيا ـ الأنساق الثقافية في قصيدة "أفاطم قبل بينك متعيني":

خلّف الشاعر **المثقب العبدي** سبع قصائد طوال بثّ في ثناياها جوانب حياته في تقلباتها وتشعباتها المختلفة على غرار غيره من شعراء العصر الجاهلي الذين خلدوا تاريخهم وتاريخ قبائلهم في قصائدهم، فكما هو معلوم أن الشعر هو ديوانهم وحافظ مآثرهم وقيّمهم وأخلاقهم وأمجادهم، وهذا ما جعل **وهب رومية** يصفه بأنه: "إدراك فني مجسّد باللغة للعالم وأشيائه وناسه وأحداثه وعلاقاته، ودلالته دلالة فنية مرهفة، تتدثّر بالغموض أحيانا، وليس هذا الإدراك الفني منبت الصلة بالتاريخ، فهو استجابة لحاجات جمالية في واقع تاريخي اجتماعي محدد، وجزء من بناء

ثقافي عام" (رومية، 1996)، فالشاعر ابن بيئته لا يعني هذا أنه لا يخرج سياساتها وقوانينها الاجتماعية والوجدانية... وإنما إنتاجه الفني يحمل في ثناياه لا وعيه ولا وعي المجتمع ككل، و"من ثم فإن الشاعر يعرض رؤيته للعالم ونظرته للأشياء طبقا لمعتقداته الإيديولوجية، وظروفه المجتمعية بأحداثها التاريخية، ووقائعها السياسية، ويأتي هذا العرض في قالب جمالي يؤسسه الشاعر على بنية لغوية، وآليات معرفية، وبهذا فإن النص الشعري ما هو إلا وليد أنساق ثقافية تحكمت في إنتاجه، وسيطرت على المبدع لحظة إبداعه" (حلمي، 2022، صفحة 4301)، فالشاعر وهو يبدع وفي لا ويعه ذلك الارتباط بمجتمعه بقبيلته وبمحيطه الذي يستحيل أن يتملص منه وإن حاول. وإضافة إلى ذلك يتكوّن في لا وعي الشاعر تلك الرغبات الدفينة التي تمثله كإنسان يتفرد في شخصه ويتعدد في إنسانيته، إذ نستطيع أن نقول إن شعره مسكون بأصوات غيره ممن ينتمي إليهم وينتمون إليه، وهذا ما يجعل شعره يحمل الكثير من الأنساق المضمرة التي تختفي وراء جمالية اللغة.

والقارئ المتبصر لقصيدة "أفاطم قبل بينك متعيني" والمتتبع لمعانيها سيجد أنها تخفي الكثير من الدلالات التي حاول الشاعر دسّها في أبيات قصيدته، ولربما الدارس للمعاني المضمرة ومحاولة استدراجها للظهور سيجدها لا تتعدى نسقين ثقافيين أساسيين تتوالد منهما أنساق عديدة وهي:

1 ـ نسق الأنا المتعالية (الشاعر والسلطة):

تعتبر السياسة أو السلطة من المرتكزات التي اعتمد عليها النقد الثقافي لاستنطاق النصوص إضافة إلى التاريخ والأنثربولوجيا والحياة الاجتماعية والنفسية... وغيرها كثير. التي يمكن أن تصاحب النصوص مع جماليتها، وهو ما يكوّن البعدين المتجاورين: الجمالي والثقافي للنصوص على حد تعبير **عبد الله الغذامي** غير مرة في بحثه في مجال النقد الثقافي.

ويكاد يجزم الباحثون والمحققون الذين خاضوا غمار البحث في حياة الشاعر **المثقب العبدي** وشعره أنه كان شاعرا سياسيا بامتياز. كيف لا؟ وهو الذي عاشر وصاحب ملك الحيرة (عمرو بن المنذر) ومدحه في أكثر من قصيدة «فهو شاعر جاهلي قديم كانت له صلة بعمرو بن المنذر والنعمان بن المنذر» (المثقب، 1971، صفحة 17) . ورغم قلة ما أثر عنه ـ سبع قصائد فقط ـ إلا أن جل رحلاته التي خاضها في غمار الصحاري كانت ميممة اتجاه هاذين السيّدين، وكانت علاقته بهما علاقة جيدة تجاوزت حدود المادح والممدوح إلى الأخوة والصداقة، كما كان عمرو بن هند (عمرو بن المنذر) من الشخصيات التي لطالما تكرر اتصال الشاعر بها نظرا لسلطتها ونفوذها السياسي فقد كان ملكا للحيرة، وقد خصص بالذكر في قصيدة "أفاطم قبل بينك متّعينيّ"، ولعلّ البيات الأولى من القصيدة لعبت دورا كبيرا في إبراز الأنا المتعالية للشاعر التي تحمل معنى "شخصية الفرد المتوحد، فحل الفحول، ذي الأنا المتضخمة النافية للآخر" (الغذامي، 2005، صفحة 100)، ويفرض نفسه كذات قيّمة لها سلطتها ومكانتها التي يجب أن تفرض على الجميع، ولا ضير أن يدخل في الجمع سيّد الحيرة وملك ملوك العرب وقتذاك. كيف ذلك؟ وأي مسوّغ للأمر؟

فالأبيات الأولى من القصيدة ملثّمة ملغّمة بمعاني تبتعد كل البعد عن الموضوع الذي تحمله في الظاهر ـ وهو مخاطبة المرأة التي ارتحلت عن الشاعر وهجرته ـ وترتحل ألفاظها لتعبر مجتمعة عن دلالات تتجاوز السياق المبين في سطورها، فالملاحَظ من خلال القراءة الفاحصة للقصيدة أن أول مضمر اعتمد عليه الشاعر في تفريغ كبته النفسي وإعلاء أَنَاه في كبر وغرور طغى على النص هو الكناية بلفظ (أفاطم) عن صاحب السلطة والنعمة ـ لا نقصد هنا الكناية بمدلولها البلاغي، وإنما بمعناها اللغوي الذي يعني الإخفاء والإضمار ـ والتخفي وراء هذا اللفظ منح له أريحية في قول ما يريد وسمح له بالإفصاح عن معاني مكثّفة الدلالات عن معاني التحدي والغرور وحبّ التملك والسيطرة. يقول الشاعر:

«أَفَاطِمُ قَبلَ بَيْنِكِ مَتّعِيني — ومَنْعُكِ ما سَألتُ كأن تَبِيـنِي
فَلا تَعِدِي مَواعِدَ كاذِبَاتٍ — تَمُرُّ بها رِيَاحُ الصَّيْفِ دُونِـي
فَإني لــو تُخَالِفُـنِي شِمَالِي — خِلافَك ما وَصَلْتُ بها يَمِينِي
إذًا لَقَطَعْتُها وَقُلْـتُ بِيـــنِي — وكذلك أجْتَوي من يجْتَوِيني»

(المثقب، 1971، الصفحات 136-141)

أ يعقل لشاعر جاهلي وجداني لم يعرف عنه في علاقاته العاطفية مع المرأة، ولو بقدر ضئيل أن يخرج عما اعتادته العرب وهو الغزل والتشبب بالنساء، وحتى المرأة التي ترحل عن الرجل الجاهلي بصفة خاصة والعربي بصفة عامة وتهجره. لم يؤثر عن الشعراء العرب إلا التودد لهنّ واستعطافهن واستلطافهن، وذكر ما أصابهم من حالات الضعف وقلّة الحيلة إزاء بعدهن ونأيهن، ولم نجد في نظمهم إلا ما يبيّن لوعة الفراق واليأس من اللقاء، كما أبدعوا في تصوير احتراقهم في لهيب الشوق والحنين، ثم يأتي **المثقب العبدي** ـ وهو لا يخرج عنهم وعن خطاب المؤسسة أو الذائقة العربية آنذاك ـ فيخاطب المرأة بهذا الخطاب الشديد اللهجة الحاد النبرة الذي يأمر فيه أكثر مما يطلب ويتهجم فيه أكثر مما يتودد، بل تعداه الأمر إلى التهديد والوعيد. في أسلوب يظهر فيه تعالي الرجل وتحديه. وهذه ليست عادة الرجل العربي، وخصوصا شاعرنا الذي يقول في قصيدة مليئة بمشاعر الضعف والتودد للمرأة يقول:

«هَلْ لهذا القَلْبِ سمعٌ أو بصرْ — أو تَنَـاهٍ عن حبيبٍ يُدَّكَـرْ
أو لدَمْعٍ عــن سفـاهٍ نَهْيُــه — تَمْتَرِي مِنْــه أسَــابِي الــدُّرَرْ
مُرْمَعِلّات كسَمْــطيّ لؤلــؤ — خُذِلَتْ أُخْراهُ فيــه مُغَـــرْ
إنْ رَأَى ضُعْنًـا لِلَيْـلى غُدْوةً — قد على الحَزْمَاءَ مُنْهُنَّ أُسَرْ»

(المثقب، 1971، الصفحات 61-64)

يلاحظ القارئ لهذه الأبيات مَدَدَ المشاعر التي بثّها **المثقب العبدي** في أبياته يبسط فيها ألمه وحزنه ولوعته لفراق ليلاه، ففي أسلوب استفهامي خرج فيه من حقيقته الدلالية إلى دلالات النفي والاستبعاد واليأس والحسرة والضعف وقلّة الحيلة إزاء شوقه لمحبوبته، وعدم القدرة على نسيانها ولا الكفّ عن التفكير فيها، وبكائه الدائم المستمر من بعدها ومن ذكراها المتجددة... وكذا تفننه في تمرد قلبه ودمعه معا في التعقل والتبصّر، ثم تصويره المتناهي الدقة

والجمالية لتلك الدّموع التي يماثلها بالدرر واللؤلؤ في تمردها واندفاعها دون توقف كما تنفلت حبات الدّرّ واللؤلؤ من عقدها.... وماكان ذلك منه إلا استعطافا لمحبوبته، واستمالة للمتلقي.

فالشاعر مع المرأة لا حكم له على قلبه ولا سلطة له على مشاعره، فهي تقوده حيث يضعف للمحبوبة مستعطفا ومستلطفا، وهذا ليس بعار على الشاعر، وليس بعيب في شعره، وإنما هو الصواب الذي أقرته الذائقة العربية القديمة: شاعرا وناقدا ومتلقي.

فإذا كانت هذه حالة الشاعر المغرم والمحب، وهذا نمط الشعر الذي يوجه للمحبوبة. فلمن يوجه إذن الشاعر هذا الخطاب الذي يفصح عن القوة والتحدي؟ أليس لأحد الرجال الذي كان له بهم علاقة وطيدة، ولن يكون هذا الرجل إلا الملك عمرو بن المنذر الذي لطالما كانت علاقاته بالشاعر علاقة صداقة. والشاعر لطالما كان سياسيا محنكا يعرف متى يقترب من الملوك ومتى يبتعد. ويدرك متى يمدح فيكسب ويتكسب؛ يكسب ودّ الملك وقربه ويأخذ مقابل ذلك عطايا وهدايا.

فالشاعر في الأبيات الأولى يوجه حديثه للملك الذي كان بينه وبين الشاعر خلاف حال دون لطافة الأجواء بينهما،

فراح في نبرة مصحوبة بالتحدي يتوعده ويهدده بالرحيل إذا امتنع الملك عن الوفاء بوعده إزاءه. وهذا ما نتبينه من خلال الأبيات التي ختم بها الشاعر قصيدته. يقول:

«إِلَى عُمَرو وَمِنْ عُمَرٍو أَتَتْنِي أَخي النَّجْدَاتِ والحِلْمِ الرَّصِينِ
فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أخي بِحَقٍّ فَأعرفَ مِنْك غَثِّي مِنْ سَمِينِي
وَإِلَّا فَاطَّرِحْنِي واتَّخِذْنِي عَدوًّا أَتَّقِيك وَتَتَّقِينِي
وَمَا أَدْرِي إِذا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَالْخَيْرُ الذي أَنَا أَبْتَغيهِ أَمِ الشَرُّ الذي هُوَ يَبْتَغِينِي
دَعْ مَاذَا عَلِمْتَ سَأَتَّقِيه وَلَكِنْ بالمَغِيبِ نَبِّئِينِي»

(المثقب، 1971، الصفحات 208-213)

نلاحظ من خلال الأبيات الشعرية السابقة والتي استفتح بها الشاعر قصيدته، وهذه الأبيات التي ختم بها شعره أنها مكتنزة بنسق الأنا المتعالية التي تضمر علاقة الشاعر بالسلطة (الملك)، وهذا النسق تتفرع عنه عدة أنساق ثانوية، تخفي خلفها حالات نفسية مختلفة، قد تعود لحالات لا شعورية عاشها لشاعر، ويرجح أن تعود لتنشئته الاجتماعية في قبيلته والتي تبيّن بصورة واضحة أناه النرجسية المتناهية في حبّ الذات الراغبة في تسليط الاهتمام عليه. ومن هذه الأنساق النفسية الشعرية نذكر:

1 ـ 1 ـ نسق التحدي والكبر:

نجد أن الشاعر في أبياته الأولى (أفاطمُ قبلَ بينكِ متّعينِي) يوجه بها تحديا خالف بها العديد من الشعراء من قبله، فهو يتحدى الملك بنبرة حادة يأمره فيها بأن يفي بوعده، ويسلمّه ما طلب منه في لهجة يسوده التهديد والوعيد (فلا تعدي مواعد كاذبات)، وتعدّى به الأمر غلى اتهامه بالكذب، ويحذره بتركه والرحيل عنه إن أبى الإذعان لطلبه (فكذلك أجتوي من يجتويني) والانصياع لأوامره؛ والتحدي نسق يتجاور مع نسق الكبر والغرور الصادر من شاعر يرى نفسه ذا أهمية بالغة لا بشيء إلا لأنه مدح الملك وذكره في أكثر من قصيدة. ولكأن الملك ما وجد ولن يجد من يمدحه ويذكر أمجاده إلا **المثقب العبدي**. وهذا النسق النفسي يقود إلى نسق نفسي آخر لربما كان هو سبب هذا الكلام، وأقصد بذلك: نسق الطمع والجشع.

1 ـ 2 ـ نسق الطمع وحب الذات:

إن جماليات الفن وبلاغته لا تقول عادة حسب المؤسسة النقدية كما يراها النقد الثقافي إلا ما تعبر عنه اللغة تصريحا وتلميحا عبر البلاغة طبعا. لكنها تخفي الكثير من الأنساق التي عبرها تمر الكثير من الدلالات التي لم تفصح عنها المؤسسة النقدية وتأبى ذلك. لذلك نجد الأدب شعره ونثره قد غيب الكثير من الحقائق التي يمكن من خلال اللغة نقلها للمتلقي عبر الأنساق المضمرة.

ومن خلال هذه القصيدة نجد أن الشاعر، ومع مرور قرون من الزمن إلا أنه لم يتحدث ناقد ولا جامع ولا مصنف لأدبه عن هذه الحقائق النفسية التي يخفيها الشاعر، ونحن لا نظلم الشاعر وإنما نستشف هذه الأنساق من خلال شعره ولا شيء دون ذلك. فقد جزمنا في البداية أن القصيدة لم تكن موجهة لامرأة معينة (فاطمة)، وإنما هي رمز أراده الشاعر ليمرر مكبوتاته اللاشعورية اتجاه الملك، ومن كان له فضل عليه في السابق. يقول:

«أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني» (المثقب، 1971، صفحة 136)

وهذه المتعة التي يتحدث عنها الشاعر قد تكون مادية تكسبية على عادة الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم من خلال مدح الملوك وأسياد القبائل وشيوخها، فالمال هنا متاع الحياة الدنيا، وقد تكون هذه المتعة معنوية، وهي تقريب الملوك أيضا لكل من يمدحهم، فالجاه والوجاهة من مسببات المتعة أيضا، ومن عوامل الفخر وإظهار الأنا.

فهذه الأبيات تنم عن الطمع والدناءة التي أوصلت الشاعر لان يطلب ما ليس له بطريقة غير أخلاقية ولا لبقة، فإما أن تعطيني ما أمرتك وإلا أبتعد عنك. وكانت اللغة الشعرية في هذه الأبيات سيدة الموقف في إيصال المعنى إلى المتلقي بطريقة لا يفهمها ولا يعيها إلا أهل العلم بها، أ يعقل ألا تفهم هذه المعاني المتخفية الذائقة العربية زمن ذاك؟ أ يعقل ألا يصل المعاني الدفينة إلى الملك وهو يقرآ هذه الأبيات؟ خصوصا أن الأبيات التي تلت هذه الأبيات تأتي لوصف الرحلة التي غادرت فيها المحبوبة، فيذكر أماكن مرورها مكانا تلو الآخر بأدق التفاصيل. فالشاعر بهذا الوصف إنما يضمر خلفه ـ كما سنشير في العنصر اللاحق ـ رحلته هو وهو يجوب الفيافي والصحاري للوصول إلى الملك.

نعود إلى نسق الطمع الذي أفرز مكبوتات الشاعر. ليتضح في النهاية أن علاقة الشاعر بالسلطة علاقة لا تتعدى حدود المنفعة والماديات. أمدحك فيعلوا صيتك ويخلد اسمك، وتقربني في مجلسك فيعلوا شأني وتغدقني بالعطايا والهدايا. وإلا فلا علاقة لي معك. يقول:

«فَإِمَّا أَن تَكونَ أَخي بِحَقّ أَعرف منكَ غَثّي من سَميني

وَإِلَّا فَاطَّرحـــــني وَاتّخذني عَدوًّا أَتَّقيــكَ وَتَتَقيـــــني»

(المثقب، 1971، الصفحات 111-112)

وربما تكون هذه المعاني المتوارية خلف شعر الشاعر تنمّ عن مكبوتات لا شعورية عاشها الشاعر وقبيلته في علاقاتهم بملوك الحيرة، فطالما كانوا هم أسيادا عليهم وكان وقومه أقل شأنا منهم، يفرضون عليهم الضرائب مقابل حمايتهم من الفرس. وهذا ما تؤكده كتب التاريخ، كما كانوا لهم خدما يقدّمون لهم الخدمات المختلفة، ولطالما وقع غضب الحيرة على القبائل العربية المتاخمة لها، فتغير عليها فيتفرقون في الصحاري. أيكون الشاعر قد نسي هذا الصنيع وهذه الأفعال. لا يمكن ذلك وهذه الأبيات تأكيدا لذلك نظرا لما تحمله من تحدّ ومبالغة في الوقوف الند للند للمخاطب في شعره.

ننتقل إلى نسق آخر احتلّ مساحة نظمية واسعة ومحيطا جماليا مكثّفا في قصيدة **المثقب العبدي**، وهو نسق الشاعر/ الرّحالة الذي ينمّ عن معرفة شاسعة بعوالم التضاريس وكذا عالم الحيوان والنبات لدى الشاعر.

2 ـ الشاعر/ الرّحَّالة الخبير:

تولد مع القصيدة أنساقا ثقافية يلجأ الشاعر متعمدا في بعض الأحيان إخفاءها وراء اللغة، وفي بعض المرات تمرّ تلك الأنساق المتوارية عبر لا وعي الشاعر إلى متون قصائده التي يروم بها أمرا، ويبتغي بها لا وعيه أمورا أخرى. ونص "أفاطم قبل بينك متعيني" من النصوص التي إذا قُرِأت وجد فيها المتلقي أنساقا لا يظهرها موضوع القصيدة، وإنما يستشفها المتلقي عبر المعجم اللغوي المشكّل للقصيدة، وكذا الصور الشعرية والانزياحات والتكرارات والتأكيدات.... وغيره مما يمكن مروره عبر النسق اللغوي الجمالي،

وقد كانت لنا وقفة في العنصر السابق مع مكبوتات الشاعر النفسية التي أظهرت اضمارا كبره وغروره وكذا طمعه وحبه لذاته. وسنحاول من خلال الجزء الثاني من القصيدة تتبع العديد من الأنساق المتوارية خلف وصف الشاعر لرحلة المرأة أو المحبوبة، وتليها بعد ذلك وصف رحلته في الصحراء مع ناقته، ومن هذه الأبيات نستشف العديد من الأنساق الثقافية التي تحيلنا إلى خبرة الشاعر وسعة معرفته؛ ومنها النسق الجغرافي، ونسق الحيوان والنبات. وسنحاول تفصيلها من خلال مقاربة الأبيات الباقية من القصيدة.

2 ـ 1 ـ النسق الجغرافي: الشاعر ومعالم جغرافية:

صحيح أن قصيدة الشاعر كانت في معناه العام تتحدث عن لومه لصديقه والملك، أو لومه للمرأة التي فارقته، ثم يردفها بوصف رحلة المرأة ورحلته في الصحراء، ويختمها في النهاية بالعودة إلى اللوم والعتاب. لكن هذه الأغراض

والمعاني الشعرية تمر مضمرة معاني تحمل لنا نسقا الشاعر الرّحالة العليم والعارف بمعالم وأماكن كثيرة في شبه جزيرة العرب وكذا الخبير بتضاريسها المختلفة. وهذا ما نستشفه من خلال الأبيات التالية:

«لمـــن ظُعُنٌ تَـطَلَّعُ من ضُبَيْـبٍ فما خَرجتْ من الوادِي لِحِـينٍ
تبصّر هل ترى ظعنا عـــــجالا بجنب الصحصحان إلى الوجين
مررن على شَرافٍ فذات هِجْلٍ ونَكَّبْنَ الـــذَّرَانِـــحَ باليمِـــين
وهنّ كذلك حين قطعن فَلْجًا كأنّ حُدُوجَهُـــنَّ عـــلى سَفِينٍ
يشبهن السفينَ وهـــنّ بُخْـــتٌ عُرَاضَـــاتُ الأبَـــاهِرِ والشُّؤونِ
وهنّ على الرَّجائزِ واكِنَـــاتٌ قَوَاتِـــلُ كُلَّ أَشْجَـــعٍ مِسْكِيـــنٍ
كغزلان خذلن بذات ضـــــال تنوش الدانيات مـــــن الغصون»

(المثقب، 1971، الصفحات 142-154)

نجد من خلال هذا النص الشعري حضورا مكثّفا لألفاظ تحمل دلالات لأمكنة متعددة ومختلفة التضاريس، فنجد منها أسماء لمعالم معينة، وأخرى تدل على الهضبة أو التل أو الوادي أو الطريق... وغيرها. فلفظة (ضبيب): موضع ببلاد عبد القيس في جزيرة العرب، ولفظة (الصحصحان): واد في طريق الشام من المدينة، ويقال موضع بين حلب وتدمر)، ولفظة(الشراف): موضع وموقع بالبحرين، وكلمة (الذرانح): موضع بين كاظمة والبحرين، كما أن لفظة(فلج): بلد أو طريق تأخذ من البصرة إلى اليمامة. كما نجد العديد من الألفاظ التي تدل على التضاريس المتنوعة للأرض. منها: (الوادي، الوجين: ما غلظ من الأرض وصلب، الهجل: المطمئن من الأرض...)، وهذا دليل على معرفة الشاعر بمعالم جغرافية وتضاريس الجزيرة العربية. وهذا يقودنا إلى الجزم أن الشاعر رجل رحّالة خبير بشؤون الأرض ومواضعها، وعارف بحاضرة العرب وباديتها.

والملاحظ في النص الشعري أن النسق الجغرافي تمّ تمريره ظاهريا لخدمة غرض شعري ونقصد بذلك غرض الوصف؛ وصف مركب رحيل المحبوبة، ثم فيما يأتي من الأبيات وصف رحلة الشاعر. لكن القارئ المتمعن والمتفحص للنص الشعري جميعه، سيرى بأن الوصف جاء لخدمة نسق مضمر هو النسق الجغرافي، فلم يكن عند المثقب العبدي وسيلة بقدر ما كان غاية يبتغي من ورائها إظهار خبرته ومعرفته بمعالم جزيرة وصحراء العرب، وما اللغة المكثّفة الدلالات على الصحراء سهلها ووعرها، آهلها وقفرها إلا دليل واضح لا يقود إلا إلى الجزم بكون الشاعر رجلا رحّالة كثير السفر والترحال يعلم خبايا الأماكن وأسرارها عليم بتضاريسها ومناخها خبير بنباتها وحيوانها.

ومن خلال ما سبق قد يتبادر إلى المتلقي سؤالا يفرض نفسه. هل الشاعر وهو يسترسل في وصفه كان قاصدا إبراز النسق الجغرافي على حساب الغرض الشعري؟

يرى الكثير من النقاد ممن اهتموا بالنقد الثقافي ومنهم عبد الله الغذامي أن النسق الثقافي المضمر لا يعمد الأديب إلى التلميح إليه أو الإشارة إليه عبر إخفائه وراء اللغة الشعرية، وإنما يكون نابعا من تراكمات لا شعورية ورغبات قابعة في لا وعيه. ولربما الشاعر المثقب العبدي وهو يصف رحلة المرأة على الإبل ورحلته بمصاحبة ناقته في

الصحراء، إنما ليخفف بها ضغط الرفض الذي أصابه من الملك، فأراد بطريقة غير مباشرة وعبر النسق الجغرافي إعادة إحياء ثقته بنفسه وبنائها من خلال السفر والترحال وتعداد الأماكن التي زارها برا وبحرا على اعتبار أنه شبه الإبل بالسفن غير مرة، ومعروف عن الشاعر الجاهلي في التشبيهات لا يعتمد إلا على الصور التي رأتها عيناه ليبني بها تشبيهات جديرة أن تنقل المعاني التي يريد إيصالها للمتلقي كما يراها ويحسها هو. فيجعله بذلك يعيش تجربته الشعورية نفسها من خلال تجربته الشعرية التي تعمل اللغة الفنية والجمالية والبلاغية على إظهارها وتجسيدها.

والمثقب العبدي في رحلته اللاواعية لتبيان ذاته المتعالية العارفة الخبيرة بشؤون الحياة تطرق في وصفه لرحلته في الصحراء إلى الاهتمام بتفاصيل تخص عالم الحيوان خاصة الناقة (راحلته)، وهذا ما سنحاول البحث فيه في العنصر أدناه.

2 ـ 2 ـ الشاعر وعالم الحيوان والنبات:

وهذا نسق مجاور للنسق الذي قبله ولا يكاد ينفصل عنه، فالشاعر أثناء رحلته، وسفره عبر أماكن عدة نجد أنه أسهب الحديث عن وصف الحيوان الذي استمدت القصيدة بناءها الفني منه أيضا، وأقصد بذلك ناقته التي يرتحل عليها، أو الإبل التي ارتحلت فيها محبوبته. والقارئ للأبيات الآنفة الذكر سيجد أن الشاعر ركز على وصف الإبل أكثر من تركيزه على وصف المحبوبة من الجانب المادي والمعنوي. في حين اجتهد في وصف الإبل (مركب المرأة) والناقة وصفا دقيقا، فتحدث عن مواصفاتها المادية، كما أسهب الحديث عن قوتها وشدة تحملها. يقول بعد وصفه الإبل المرتحلة ـ ذكر في الأبيات السابقة ـ منتقلا لوصف ناقته:

«فقُلتُ لِبَعضِهِنَّ وَشُدَّ رَحلي ... لهاجِـرَةٍ عَـصَبتُ لَها جَبيـني
لَعَلَّكِ إن صَرَمتِ الحَبلَ مِنّي ... أَكونُ كَـــذاكَ مُصحِبَتي قَروني
فَسَلِّ الهَمَّ عَنكَ بِذاتِ لَـوثٍ ... عُـــذافِرةٍ كَمِطرَقَـــةِ القُيـونِ
إذا قَلِقَت أَشُدُّ لَهـا سِـنافاً ... أَمـــامَ الزَورِ مِن قَلَـقِ الوَضينِ
كَأَنَّ مَواقِـعَ الثَفِنـاتِ مِنها ... مُعَرَّسُ باكِراتِ الـوِردِ جُـونِ
يَجُذّ تَنَفُّسُ الـصُعَداءِ مِنهـا ... قُوى النِسعِ المُحَرَّمِ ذي المُتونِ
تَصُـكُّ الجَـانِبَينِ بِمُشفَتِـرٍّ ... لَـهُ صَـوتٌ أَبَحُّ مِـنَ الـرَنـينِ
كَأَنَّ نَفِيَّ مـا تَنـفي يَداهـا ... قِـذافُ غَـريبَةٍ بِيَدَي مُـعينِ
تَسُدُّ بِدَائِمِ الخَطَرَانِ جَثْـلٍ ... خِوَايَةَ فَرْجِ مِقْـــلاتٍ دَهِيـنِ
وَتَسمَـعُ لِلذُبـابِ إذا تَغَـنّى ... كَتَغـريدِ الحَمامِ عَلى الوُكـونِ
كَأَنَّ مَنَاخَهَـــا مُلْقَى لِحَـامٍ ... عَلَى مَعْزائِهـا وَعَـلَى الوَجِينِ
كَأَنَّ الكُـــورَ والاتِّسَـاعَ مِنْهَـا ... عَـــلى قَرْوَاءَ مَاهِـــرَةٍ دَهِيـنِ
يَشُـقُّ المـاءَ جُؤجُؤُها وَتَعلـو ... غَـوارِبَ كُلِّ ذي حَدَبٍ بَطِيـنِ

غَدَت قَــوداءَ مُنشَقّاً نَساهــا تَــجاسَرُ بِالنُخــاعِ وَبِالوَتيــنِ»

(المثقب، 1971، الصفحات 163-193)

من خلال هذه الأبيات والأبيات السابقة من القصيدة نجد أن الشاعر أسهب وأجاد في وصف الناقة وبعض الحيوانات التي صادفها في رحلته. ومن الألفاظ الدالة على ذلك نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر: (بذات لوث): الناقة السريعة القوية الضخمة الكثيرة اللحم والشحم، ولفظة (الغذافرة): تعني الناقة الشديدة الصلبة الأمينة الوثيقة الظهيرة، ولفظة(الثفنات): من أعضاء الناقة والبعير وهو الركبة وما مس الأرض من أعضائها، وكلمة (باكرات): هي حيوان القطا: طائر في حجم الحمام، وسميت كذلك لبكورها صباحا، وكذلك نجد لفظة (الغريبة): تعني الناقة الغريبة عن القبيلة، ولفظة (الدهين): الناقة القليلة اللبن، ولفظة (البخت): تعني: الإبل الخراسانية. لفظة (الدهين) الناقة القليلة اللبن

ونجد أن الشاعر فصّل أيضا في ذكر أسماء العديد من أعضاء الناقة وعلاقتها بقوة الناقة وشدتها وصلابتها. نكر مثالا لا حصرا: فلفظة (الأباهر: من الأبهر وهي وريد يحمل الدم من جميع أوردة الجسم إلى القلب. والشؤون: شعب في الرأس توصل الدمع إلى العينين. وفلفظة (الزور) تعني صدر الناقة ومقدمتها، ولفظة: (الجانبان) يقصد بهما عرقان يكتّفان السّرة، ولفظة (الخطران جثل): تعني ذنب الناقة الكثير الشعر، ولفظة (مناخ): الموضع من الجسد الذي تبرك منه الناقة، (الكور): رحل الناقة، وكلمة (الجؤجؤ): صدر الناقة وعظامه... هذا وقد ورد في نص الشاعر الكثير من الألفاظ الدالة على الحيونات، كالغزال والذباب والحمام...، وذكر أيضا نباتات تنمو في الصحراء كلفظة (الضال) التي تعني شجر السدر ضال: شجر السدر...

نلاحظ من خلال الأبيات الآنفة الذكر التي ركز فيها الشاعر على تبيان خبرته بالحياة من خلال نسق الرحلة والتنقل التي تضمر عن خبرة الشاعر بعوالم الأمكنة والحيوان وكذا النبات. وربما هذا التركيز على الوصف الدقيق للرحلة ومصاحبته للناقة وتنقله بين الأمكنة ووصف ما فيها من مواضع ونباتات وحيوانات... كانت الغاية منها استوقاف الملك، وجعله يعيد النظر في علاقته به ليقول له أنه رجل خبير بالحياة. يملك من المؤهلات ما يجعله مطلوبا عند غيره. وهذا ما نستنطقه من خلال البيتين الأولين من النص أعلاه الذي يشير فيه إلى أنّ صرمه له كان دافعا له ليقوم برحلة يجوب فيه الصحاري متناسيا بها وفيها همه وبعده عن مجالسته ومصاحبته. وربما تأتي هذه المعاني المتخفية وراء قوالب لغوية بلاغية ودلالات جمالية فنية لتظهر كبتا لا شعوريا عاشه الشاعر وقومه ويعيشه خلّفه كما ذكرت سابقا معاملة ملوك الحيرة لأقوام القبائل المجاورة لها.

وذكر اللغة الشعرية وبلاغة الشاعر يجعلنا نعرج على النسق البلاغي الذي أو بعبارة أدق نسق الرجل/ البليغ.

3 . نسق الرجل / البليغ:

الحديث عن النسق البلاغي في النقد الثقافي أمر لا يعد من الأنساق الثقافية المضمرة، إذ عليها المعتمد في نقل الأنساق الثقافية المضمرة، والتي تختفي وراء الصور الشعرية والانزياحات المختلفة لتضمن وصولا جماليا لمحمولاتها

إلى المتلقي. لكننا في نص المثقب العبدي "أفاطم قبل بينك متعيني" سنحاول إظهار هذا النسق بصورة أخرى نحاول نبش غايتها من النسقين السابقين: نسق الأنا المتعالية، ونسق الرّحالة الخبير. كيف ذلك؟

الشاعر الجاهلي في محاولاته المستمرة في إثبات ذاته وإقناع غيره خاصة الممدوح (ولي النعمة المادية المتمثلة في التكسب والمعنوية المتمثلة في شهرته وإعلاء شأنه على حساب غيره من الشعراء)، والمثقب العبدي على غرار غيره. لم تكن الانزياحات والصور الشعرية التي أوردها غاية في حد ذاتها، ولا وسيلة كانت مهمتها نقل المعاني وإقناع المتلقي والتأثير فيه بما يريد قوله من خلال نصه الشعري، وإنما كانت تلك الصور وسيلة لجأ من خلالها إلى تبيان مقدرته الشعرية وحذقه الفني، ففي كل صورة شعرية (تشبيه أو استعارة) وفي كل خروج اللغة عن حقيقتها عبر انزياح القول إلى أغراض تفهم من السياق وترسم لنا حالة الشاعر النفسية إلا ووجدنا لا وعي الشاعر ينضح قائلا: وهل ستجد أيها الملك أفحل مني شعرا، وأحذق مني بلاغة.

فانظر مثلا إلى قول الشاعر وهو يخاطب ناقته ويجري معها حوارا قلّ ما أجاد فيه الشعراء:

«إِذا ما قُمتُ أَرحَلُها بِلَيلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَجُلِ الحَزينِ
تَقولُ إِذا دَرَأتُ لَها وَضيني أَهَذا دِينُهُ أَبَداً وَديني
أَكُلُّ الدَهرِ حَلٌّ وَارتِحالٌ أَما يُبقي عَلَيَّ وَما يَقيني
فَأَبقى بِاطِلي وَالجِدُّ مِنها كَدُكّانِ الدَرابِنَةِ المَطينِ»

(المثقب، 1971، الصفحات 194-200)

من خلال هذا النص هل فعلا الشاعر هما يريد تبيان تعب الناقة من ترحاله، وهل فعلا أراد من خلال تبيان تعب ناقته كثرة ترحاله ورحلاته. ما الداعي إلى ذلك؟ فالشاعر إذن أراد في سبق من نوعه أن يبين مقدرته الشعرية وجعل اللغة لعبة يتفنن في تشكيلها كما يشاء فيخلق منها المستحيل وغير الممكن وإلا كيف شاركته الناقة الحديث والتعب وكذا الحالة النفسية التي عاشها الشاعر.

واعتمد الشاعر في وصفه على الانزياحات المتعددة من تشبيه واستعارة، وقد لعبت الصورة التشبيهية دورها البلاغي وزيادة في حمل النسق الجغرافي وإيصاله للمتلقي.

خاتمة:

نختم هذه الدراسة بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال قراءتنا لقصيدة "أفاطم قبل بينك متعيني" **للمثقب العبدي**، نوجزها في النقاط التالية:

– النقد الثقافي جاء كبديل للنقد الأدبي إلا أنه ينطلق منه ولا يلغيه تماما، وأهم ما جاء في النقد الثقافي هو بحثه في الأنساق الثقافية التي تشمل كل جوانب الحياة المادية والمعنوية والتي يمكن أن يمررها المبدع عبر نصوصه التي تقول دلالاتها التصريحية والتلميحية ما لا تقوله الأنساق. لأن الأديب قد يكون عالما بالمضمرات فيوردها عمدا لحاجة في نفسه فيقضيها، وقد تكون عبارة عن تراكم سلوكات وعواطف ومشاعر حجزها لا شعوره. ثم تظهر عن غير قصد في ثنايا إبداعاته المختلفة.

– تعتبر قصيدة "أفاطم قبل بينك متعيني" لصاحبها المثقب العبدي من القصائد التي حملت الكثير من الجماليات والفنيات التي متعت وأمتعت الذائقة العربية على مر الزمن. وهي في متنها تحمل العديد من الدلالات والأغراض التي يمكن فك شفيرتها الجمالية من طرف النقد الأدبي بحثا مكنوناتها الجمالية ومكوناتها البلاغية الفنية.

– كما نجد القصيدة محمّلة ومكتنزة بأنساق ثقافية عبرت بحق عن حالات نفسية للشاعر تكوّنت نتيجة مواقف عاشها الشاعر فخلفت فيه مشاعر التحدي والطمع والاستهانة بالغير، فمررها إضمارا عبر نصه الشعري، وقد تعود لتراكمات لا شعورية طغت إلى الواجهة تخفيا من خلال القصيدة أيضا

– والقصيدة أيضا بينت بحق عن خبرة الشاعر بعوالم الأرض ـ على الأقل في شبه جزيرة العرب ـ فاتضح تمكنه معرفيا من مواضعها وتضاريسها ومناخها وكذا حيوانها ونباتها. وهذا ما نتبينه من خلال نسق الشاعر: الرحالة. وقد لعبت اللغة الشعرية للشاعر دورا كبيرا في حملها وتبليغها للمتلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

العبدي المثقب. (1971). *ديوان المثقب العبدي*. مصر: معهد المخطوطات العربية.

حفناوي بعلي. (/). *مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن*. الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف – الدار العربية للعلوم ـ ناشرون.

عبد الحليم أحمد حلمي. (2022). الأنساق الثقافية المضمرة في لامية العرب للشنفرى الأزدي. *حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا ـ جامعة الأزهر ، المجلد السادس* (5)، 4301.

عبد القادر طالب. (15 سبتمبر, 2018). النسق الثقافي وسمات التشكّل في الخطاب الأدبي –قراءة من خلال تجربة الناقد يوسف عليمات. *دراسات لسانية جامعة البليدة2 الجزائر ، المجلد2* (10)، صفحة 342.

عبد الله الغذامي. (2005). *النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية* (المجلد 3). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

وهب رومية. (1996). *شعرنا القديم والنقد الجديد*. الكويت: عالم المعرفة.